ثنائية السُّؤال والجواب في الشعر الإسلامي القُرشي

دراسة على ضوء نظرية المُساءلة والمعنى

لـ(ميشيل ماير)

أ. د : عبد الباقي بدر الخزرجي/ قسم اللغة العربية/ كُليَّة الآداب/الجامعة المُستنصرية

م. م : أَحمد سميسم علاوي / قسم اللغة العربية/ كُليَّة الآداب/ الجامعة المُستنصرية

Question and answer duality in Qurayshi Islamic poetry
A study in light of accountability and meaning theory by
(Michel Mayer)

Prof. Dr. Abdul-Baqi Badr Al-Khazraji
Ahmed Sumaisem Allawi

Mustansiriah University College of Arts Dept. of Arabic Language
ahmedalawi@uomustansiriyah.edu.iq

Abstract

Reflected the explicit and implicit in the poetic discourse in the bi-answer question, the answer Vlhzh words that relate to the apparent meaning of formulas that answer to the question implied, and the moment the question grows in the mind of the recipient to receive the first moment of poetic speech This is because the human mind characterized by his fondness question, man from birth is packed with question and the search for the things surrounding him in building his career in search of the answer, and occupies his mind to pass from the unknown to the known through the window of knowledge and the pursuit of facts and the recipient in this case, a party pivotal in the periorbital process, has been awarded (Meyer) the receiving space, not less speech product space, the world's poor recipient of creative discourse produced through impeachment speech parallel to be effective and fruitful in understanding speech through bilateral answer and question. ;.

Keywords: (mayer, logos, persuasion)

المستخلص :

يَتَجَلَّى الصَّرِيحُ والضِّمنِيُ فِي الخِطَاب الشِّعْرِي فِي ثُنائيّةِ الجَوَابِ وَالسُّؤَالِ، فَلَحْظَةُ الجَوَابِ تَتَعَلَّقُ بِظَاهِرِ الكَلَامِ الذِي صِيْغَ عَلَى أَنَّهُ جَوَابٌ لِسُؤَالٍ مُضْمَرٍ، ولَحْظَةُ السُّؤالِ تَنْمُوْ فِي ذِهْنِ المُتَلَقِّي لَحْظَةَ التَّلَقِّي الأُوْلَى لِلْخِطَابِ الشِّعْرِي؛ ذَلِكَ لأَنَّ العَقلَ البَشَرِي تَمَيَّزَ بِوَلَعِهِ بِالسُؤَالِ ،فَالإنسانُ مِنذُ وِلَادَتِهِ يَعَجُّ بِالسُؤَالِ وَالبَحْثِ عَنِ الأَشْيَاءِ التِي تُحِيْطُهُ فِي بِنَاءِ مَسِيْرَتِهِ بَحْثَاً عَنِ الإجَابَةِ ،ويُشْغِلُ ذِهْنَهُ بِالمُرُوْرِ مِنَ المَجْهُوْلِ إِلَى المَعْلُوْمِ عِبْرَ نَافِذَةِ المَعْرِفَةِ وَالسَّعِي إِلَى الحَقَائِقِ.

وَيَكُوْنُ المُتَلَقِّي فِيْ هَذِهِ الحَالَةِ طَرَفَاً مِحْوَرِيّاً فِيْ العَمَلِيّةِ الحِجَاجِيّةِ، وقد مَنَح (ماير) المُتَلَقِّي مَسَـــاحَةً، لَا تَقِلُّ عَن مَسَـاحَةِ مُنْتِجُ الخِطَابِ ،فَقِرَاءَةُ المُتَلَقِّي لِلْخِطَابِ الإبداعي يَنْتَجُ عِبْرَ مُسَـاءَلَتِهِ خِطَابَاً مُوَازِيَاً يَكونُ مُؤَثِّرَاً وَمُثْمِرَاً فِي فَهْمِ الخِطَابِ عِبرَ ثُنَائِيّةِ الجَوَابِ والسُّؤَال.

الكلمات المفتاحية: (ماير، اللوغوس، الإقناع)

المُقدمة:

بَدَأَ مَشْـرُوعِ مَاير الحِجَاجِي مِنْ بَوَابَةِ الفَلْسَـفَةِ وَاستَقَرَّ بِنَظريّة المُسَـاءَلَة، فَقَد وَعَى مَاير أَزمةَ الفَلْسَـفَةِ الغَربيّةِ ،التِيْ سَيْطَرَتْ عَلَيْهَا الذَّاتُ الدِّيكَارتِيّة وَأَسَسَت الكوجيتو، التي سَعَتْ إِلَىْ حُضُورِ الذَّاتِ مِنْ حَيث كونَهَا تبحث في فلسفة الأشـياء علَى ضـوء الحقيقة والحُكم على إثرِهَا، غير أَنَّ ماير تَجَاوَزَ هذا الوضـع الفَلسَـفِي عبر نظَرية المُسَـاءَلَة ،التي تعود إلى جذور الفلسَفَة اليونانيّة من خلال نافذة السُّؤَال .

احدثت دراســـته انعِطَافة نوعيّة في حقل الحِجَاج، إذَ طرَح ماير مشـــروعه الحِجَاجِي من وجهة نَظَر تَنطَلَق من الفلســفَة وعلاقَتِهَا بِمُكَوِّنَات الكَلام ، واهتَمَ باللوغوس(Logos) الذي عَرَّفَه بأَنَّهُ " كلامُ العَقل الذي يُدرك نفسَــه في كُل مَدَاه (اتِسَـاعَه) دون أن يَحدَّه اتِّجَاه مخصـوص ويُعَرِّفَه كذلك بأنه العقل المُتَكَلِّم" (القارصـي، 1997م، صـفحة 392) وعبر الحَدَث الكلامي الذي يُعد جوهر الكلام يتم الوصـــول إلى الإجابة عبر الســـؤال. جاء هذا البحث موسوماً بـــــــ(ثنائية السُّؤال والجواب في الشعر الإسلامي القُرشي _دراسة على ضوء نظرية المُساءلة والمعنى لـ(ميشيل ماير) على وفق مبحثين ، هُما:

المبحث الأوَّل : الأصول والتأسيس لنظرية المُساءلة والمعنى وأفقها المَعرِفي.

المبحث الثاني: الخطاب الصريح والضمني في الشعر الإسلامي القُرشي .

وخُتِمَ البحث بعددٍ من النتائِج .

مشكلة البحث:

تُعد نظرية المُساءلة والمعنى من نظريات الحِجَاج التي أسهمت في انعطافة مُهمَّة في خارطة البلاغة الجديدة فقد اعتمدت الإشكالية والتساؤل بوصفه السبيل الى اكتساب المعرفة والوصول الى الحقيقة، غير أنَّ هذه النظرية لم تحظَ بمثيلاتها من نظريات الحِجَاج بالاهتِمام والتنقيب عنها ودراســتها، ســوى مُحاولات خجولة من قبل بعض الأكاديميين لم تتعدَ التنظير للنظرية، فكانت مشكلة هذا البحث نُدرة الدراسات الحِجَاجية التي تناولت هذه النظرية على مستوى التطبيق ، فضـلاً عن عزوف كثير من مُترجمينا وباحثينا عن ترجمة متن النظرية لهذا يواجه البحث نُدرة المصادر عنها.

أهداف البحث:

إنَّ ثقافة السُّؤال(صريح، أو مُضمر) قادرةٌ على تحقيق التواصل بين الأفراد والجماعات في أعلى درجات التداول، إذ لا يُمكِن أن تغيب هذه الثقافة عن ميدانها الحَيوِيّ المُعدّ أســاســاً له، لأنَّ كل موجة كَلامية يُمكن أن تتضــح بالمعنى والدلالة والقيمة وطبيعة الأداء، تترك خلفها مساحة ضـوء أرجوانية من الجواب الحامل لسـؤال افتراضـي بنكهة التلقِّي اعمق دلالة، وأكثر خفاءً واستتاراً وتحدياً للكشف والاكتشاف.

إنّ هذا السُّؤال المَخبُوء المُكتنِز بِمَعَانِيهِ وإشاراتِهِ وَعَلَامَاتِهِ يُمكن التقاطه من خلال السياق والمقام والرصيد المعرفي للمتلقي عِبرَ أدوات تفكيك تعتمد التذوق الجمالي وقدرة على التأويل، وَيُنَفِّسُ عَمَّا يَعتمل فِي دواخله وأعماقه من "مُضمر" لا يكشفه مُنتج الخطاب إلَّا في مناسباتٍ وظروفٍ مُعيَّنَة، عن طريق كشف هذا المخبوء والتصريح به داخل لحظة زمنية مُعيَّنة .

هُناك مقولة جَرت مجرى المثل هي "الكلام ما بين السطور"، مع نظرية المُساءلة والمعنى يُمكن أن تعني الخطاب الصريح يُعَبِّرُ عن ثَمَّة سؤال مخبوء يُمكن إيصاله إلى المتلقي وعليه استقبال هذا السُّؤال لِفهم المعنَى المُراد من السياق التعبيريّ، وما يعنيه من دلالات متعارف عليه بين طرَفي الخِطاب.

السُّؤال لغةٌ أُخرى تُشاكل الكلام وَتقف على السَّاحِل الآخر المقابِل له؛ كي يكون الخطاب المُوزاي، فحينما نسألُ بإزاء خطابٍ فرُبَّمَا يعكس مَوقِفَاً مُحدَّدَاً من " القبول، أو الرفض " وهذا القبول، أو الرفض يعود إلى طبيعةِ الاستجابة والتعبير عنها وترتيب موقفٍ ما منها .

أهداف البحث :

يتعذر الولوج في مَيْدَان البلاغة بمعزل عن النتَاج الإبداعي الذي يتم تشييده على ضوء أوليَّات تُسهم في التواصل مع المتلقي، وكان لنظرية ميشيل ماير لحظتين الأولى ثنائية السؤال والجواب، ولحظة الأخلاق التي تُؤمّن الوجه الانفعالي وما فيه من قصد عفوي وجاهز، مِمَّا يُفضي إلى تَمَثّل الوجهِ التأثيري والإقناعي عبر دلالات لوظيفة عقلية التي ركَّزَت على نسق بناء الفكرة ووظيفة معرفية ارتبطت بأهمية المعلومات التي تم الوصول إليها، ووظيفة إمتاعية ؛ لإشعار المتلقي بنوع من اللذة والإحساس بالشيء احساساً تامَّاً .

المبحث الأول : الأصول والتأسيس لنظرية المُساءلة والمعنى وأفقها المَعرِفي.

يُشكِّل الحِجَاجُ فِيْ ذَاكِرَةِ البَشَرِيّةِ مَسَاحَةٌ مُهِمَّةٌ، لِغَرَضِ البَحْثِ عَنْ إِجَابَةٍ مُقنِعَة لِمَشْرُوعِ التَّوَاصُلِ مَعَ الآخَرِ، وَقَدْ مَرَّتْ جُغْرَافِيةُ الحِجَاجِ بِمَسِيرَةٍ مُتَنَوِعَةٍ اسْهَمَتْ فِيْ ظُهُورِ نَظَرِيّاتٍ لِلحِجَاجِ تَبَعَاً لِظُرُوفِ إنتَاجِهَا، وقَد تَعَدَّدَتْ النَّظَرِيّات الحِجَاجِيّةِ عِبرَ رِحلَةِ تَطوِير البَلَاغَة وَعَلاقَتِهَا بِالفَلْسَفَة أَوْ المَنْطِقِ أَو مُختَلَف الحَقُولِ المَعْرَفِيّةِ كالقانون وعلم النفس ،وعلم الاجتِمَاع وَتَنَوَّعهَا غَيْرَ أَنَّهَا لا تَبتَعِدُ عَنِ الإقنَاعِ والتَّأثِير فِي المُتَلَقِّي.

غيرَ أَنَّ قَصَبَ السَّبْقِ بَدَأَ مَعَ البَلَاغَةِ اليُونَانِيّةِ مُرُوراً بِحَرَكَةِ التَّأرِيخِ الَتِيْ أَبرَزَتهَا حُقُوْلِ الفَلْسَفَةِ وَاللُّغَةِ وَالبَلَاغَةِ وَالمَنْطِقِ فَأَنْتَجَتْ نَظَرِيّاتٍ عَمَّقَتْ الشُّعُورِ بِهَذِهِ الفَعَّالِيّة الإنْسَانِيّة التِيْ كَانَتْ بَدِيْلاً عَنْ العُنف. فَالحِجَاجُ يُعْطِي لِلْمُتَلَقِّي مَجَالًا لِاتِّخَاذِ القَرَار حَوْلَ قَضِيّةٍ مَا عِبرَ فَرْشَةٍ مِنَ الأَدِلَّةِ وَالحُجَجِ المُتَنَوِعَةِ. ذَلِكَ أَنّ الإنسَان فِيْ أثناء إقباله على المُشافهة أو الكتابية فِيْ سياقه اليومي، نراه قد يكون مشحوناً بسيل من الاسْئِلَة الذهنيّة التي تعنيه وتُشغل باله فِيْ قضية ما .

فقيمة السُؤال تَكْمِنُ في الإيغَالِ والاستِقصَاء، والنتاج الإبداعي في هذا المستوى يُعدُّ نَسِيجَاً من الشكِّ والقلق والتَّساؤُل ،وليس عبارة عن قطيعٌ من الكلِمَات السائرة من غير هُدَى .

لا يخفى على أحد أنَّ التَّفْكِيرَ هِيَ صِفَةٌ مُلَازِمَةٌ للإنسان عِبْرَ رِحْلَتِهِ الوجُودِيَّة، مُسْتَعِيْنَاً بِمَا يَرصِدهُ مِنْ حَوْلِهِ مِنْ أَشْيَاء وَأَحْدَاث وَمُتَغَيِّرَات، غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الفَعَّالِيّة عِنْدَ مَاير" يَعْنِيْ طَرْحُ الاسْئِلَة ،والقُدرة على الاِستِشكَال"

(عادل، 2013، صـفحة 105)وَلَعَلَّ ميشـال ماير اسـتثمَرَ رَصِـيدَه الثَّقَافِي والفَلسَـفِي وَمَعْرَفَتِهِ بِالنَّظَرِيّات المَعْرِفيّة، وَقِرَاءَته لِلبَلاغَةِ القَديمَةِ والمُعَاصـرةِ، فَتَمَكَّنَ مِن إبرَاز التَّصَـورَاتِ الجَدِيدَةِ لِلخِطَابَاتِ البَلَاغِيّة، من خِلالِ تَبَنِيهِ وِجْهَةِ نَظَر فَلسَـفِيّة اعتَمَدَ فِيهَا البُعد الافتِرَاضِـي فَعَالجَ النِّتَاجِ الإنسَـاني عِبرَ عَلاقَاتٍ مُفترضَـةٍ مِن اسْئِلَة وأجوبةٍ وَقَد عَرَّفَ الحِجَاجَ على أَنَّه " دراسةُ العَلاقَةِ القَائِمَةِ بينَ ظَاهِر الكَلامِ وضمنيه" (صولة، 2007، صفحة 37).

فظَاهِر الكلام هو الجَوَاب، وضـمنيه هو السُـؤَال" ومعنى هذا أَنَّ الحِجَاجَ لا يقتَصِـرُ على ظَاهِر النَّص وحدهُ أَو المَضْـمُون وَحْدَه ،بل يَتَعَدَّاه إِلَى دِرَاسَـةِ تلك العلاقة التي جَمَعَت بينَهُمَا في سـياقٍ مُعَيَّن" (دهش ، 2017، صـفحة 150).

منهجية ماير .

قامت منهجيّة ماير على مبدأين اثنين هُمَا :

1- المبدأ الافتراضي فِيْ تحليل الاقوال .

2- مبدأ اِخْتِلاف الإشْكَال داخل الاقوال .

المبدأ الافتراضي: وذلك بافتِراض اسئلة لها أجوبة مُضمَرة في الخطاب، " ويصبح كل قول (خبراً، إنشاء ، سُؤَالاً . تَعَجُبَاً، أمرَاً ، نَهيَاً) افتراضاً لشيء ما داخل سياق تَخاطبي مُعَيَّن ، أي جَوَاباً عن سُؤَالٍ سابق ، وسُؤَالاً لِجَوَاب لاحق ، وبهذا يُعبّر الافتِرَاض عن انتِظَارَاتٍ مُتَعَدِّدَة ومُختَلِفَة تقتَضِـيهَا العَلاقَاتِ الإنسَـانيّة لِتَحْقِيقِ أَهْدَافهَا وَمَرَامِيهَا" (بن خراف، 2010، صفحة 100) مبدأ الاِخْتِلاف الإشْكَالي : يقوم على طرح الاِخْتِلافات بين الاقوال ويهدف الى تحقيق وَظِيْفَة القول، تواصـلا أو إقناعَاً، هذه الاِخْتِلافات هِيَ الميزة الحقيقية فِيْ العَمَلِيَّات التَّخَاطُبيّة التي تَحْكُمُهَا ضَـرُورَات تَرتَبِط بالمَعَارف والخلفِيّات السِّـيَاقِيّة والثقافِيّة التي يَتَوَفَّرُ عليها الذهن البشـري ،ولهذا تعد نَظَرِيّة المُسَـاءَلَة بحثا فِيْ الانتظارات المفترضة داخل الاقوال ،وبحثا فِيْ الاِخْتِلافات الإشْكَالية التي تجسدها اللُّـغَة، وبينهما يَأتِي القول لتقريب الاِخْتِلاف والإجَابَة عن الانتظارت وفتح الباب أمام اِخْتِلافات وانتظارات أخرى هِيَ غاية الخِطَاب الحِجَاجي، مِمَّا يدّل على أنَّ التفكير هو دوما مساءلة (عشير، 2006، صفحة 197) .

نَظَرِيّة المُسَاءِلَة وتَنُّوّع الأبعَاد :

"قام ماير من خلال نَظَرِيّة المُسَـاءَلَة بوضـع قواعد نَظَرِيّة ذات بعد فلسـفِيْ تكمّل مجهودات باحثين آخَرين لأبعاد اللُّـغَة ووظائف الكلام وهي جهود تنظيرية فِيْ مجال البَلَاغَة، تبقى متينة الاِتِصَال بنَظَرِيّة المَعَنى المرتبطة بِالسُؤَال أشـدّ الاِرتِبَاطِ وبِالسُـؤَال المُنفَتِح على الأجْوِبَة المتعدّدة التّي تتضـافر المقاصـد التّداولية(ظروف إنجاز الخِطَاب) والتأّويليّة (علاقة السُؤَال بالجَوَاب) والبَلَاغِيّة الحِجَاجِيّة أساسا فِيْ تحقيقه (عشير، 2006، صفحة 198)، وللتَّأويل دورٌ حَاسِـمٌ ومُؤثِّر في عَمَلِيّة التَّلَقِي الحِجَاجي " وَلَمَّا كانت طبيعَة الحِجَاج لا تَتُم في وصـف ظَاهِري للقول ، احتيج إلى عَوامل خَارِجِيّة لِتَحْدِيد البُعد التَّأوِيلي (دهش ، 2017، صفحة 156) .

"أبعاد نَظَرِيّة ماير الثلاثة :

1- تداوليّة تهتم بدراسة ظروف اِنْتَاج الخِطَاب وآلياته.

2- تأويليّة : وبحث العلاقة بين السُؤَال والجَوَاب وما يتطلبه من تأويل لمكونات وروافد كل منهما.

3- بلاغية : ذَلِكَ برط البَلَاغَة بالحِجَاج وفتحه لمختلف وسَائِل الإتِصَال الكائنة (سالم، 2008م، صفحة 138) .

مفهوم الحِجَاج ونَظريّة المُسَاءَلَة : وقد سعَى ماير عِبرَ تعريفه للحِجَاجِ على أَنَّه " دراسةُ العَلاقَةِ القَائِمَةِ بينَ ظَاهِر الكَلامِ وضمنيه (صولة، 2007، صفحة 37)أن يجعله ذا لون حواري وفكرة المُساءلة " يُضَمِّنَهَا حواراً مُفتَرَضاً ، يُسهِمُ في حل أزمة العقلنة الذاتية في إدراك حقيقة الأشياء في المباحث اللسانيّة والبلاغيّة التي ترى أَنَّ الحقائق تنبعُ من الذَّات المُفَكِّرَة وتنتَهِي عِندَهَا" (دهش ، نظريّة (المُساءلة والبلاغة) لميشال ماير، مقاربة في :الأصول والأسُس والتَّمَثُلات، 2019، صفحة 2187) إذا كَانَ أرسطو يحصر الحِجَاج فِيْ الإقناع والتَّأثير ،ويحصره بيرلمان بالاقتناع ،ويحصره ديكرو وأنسكومبر فِيْ اللُّغَة ، ويحصره التداوليون بالسياق، فإنَّ ميشال ماير يربطه بِالسُؤَال الإشْكَالي (حمداوي، 2019، صفحة 40) .

وهذا السُؤَال الإشْكَالي قد لا يكون موجَّهَاً للمجيب الحقيقي (الداخل مَعَ السَائِل فِيْ الحوار) ،بل قد يكون المجيب نفسه السَائِل أو الآخَر المفترض داخل السياق العام للحوار والإجَابَة الإشْكَالية قد تتجه نحو سَائِل آخَر مفترض، أو تُعَبِّرُ عن تَسَاؤُلات أُخرَى دون أن تعالج التَّسَاؤُل الأَوَّل ، وهنا تَكْمِنُ حقيقة الحوار الذي يقبل كل التأويلات الممكنة" (عشير، 2006، صفحة 201) ويرى ميشال ماير "إنَّ الحِجَاج يَحْرِصُ على إيجاد وحدة للجَوَاب، وترضية المُتَلَقِّي وإقناعه بجَوَاب منطقي شافٍ ،لاسيَّمَا تختلف وجهات النظر، حينها لابد من اختيار جَوَاب مُقنع يرتضي به السَّامِعَ (حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة ، 2014، صفحة 47).

اللغة الحِجَاجِيّة بين الاستِعمَال والإبتِكَار :

تُعَبِّرُ اللُّغَة الحِجَاجِيّة عن تَسَاؤُلات ضِمْنِيّة، فضلاً عن دلالة الأفعَال اللغويّة التي تُعد "وجُوْها من الأجْوِبَة تشبه الى حد ما حججا وأجوبة وادِلَّة تُخفِيْ المَعْنَى الحَقِيقِي لِلقَوْل (عشير، 2006، صفحة 199)وصولاً إلى الحُجَّة التي تُمثِّل " جَوَاباً أو وِجْهَةِ نَظَر يُجاب بها عن سُؤَال مُقدَّر يستنتجه المُتَلَقِّي ضِمْنِيّاً من ذَلِكَ الجَوَاب، ويكون ذَلِكَ بطبيعة المَقَام وبوحي منه " (صولة، 2007، صفحة 38) بِمَعْنَى أَنَّ العَمَلِيّة التَّوَاصُلِيّة هِيَ وسيلة للإجابة عن اسْئِلَة تقتضيها المَقَامات وظروف اِنْتَاج الخِطَاب؛ مُنتظرة يطمح إليهَا الآخَر ذلك أَنَّ الحِجَاجَ "لا يَخرِجُ عن السِّمَة الاجتِمَاعيّة، كونه عقليّاً استِدلاليّاً من جهة، وتواصليّاً إقنَاعيّاً من جهة أُخرَى (دهش ، نظريّة (المُساءلة والبلاغة) لميشال ماير، مقاربة في :الأصول والأسُس والتَّمَثُلات، 2019، صفحة 2186)" ،وهذه العَمَلِيّة التَّوَاصُلِيّة تقتضي رصيداً مَعْرِفِيّاً وثقافِيّاً بالسياقات التي تربط أطراف العَمَلِيّة التَّوَاصُلِيّة، ولابد من حُضُورِ الاِخْتِلافات بين النَّاس كي تتم عملية التواصل؛ "إنَّ النَّاس مُحتاجون دائماً لاعتقادات وافتراضات تُميّز اِخْتِلافاتهم أكثر من حقائق مَعْرِفِيّة جافة و جاهزة، تُطفِئ جذوتهم نحو المُساهمة فِيْ حل إشكالات المَعْرِفَة الإنسَانيّة" (عشير، 2006، صفحة 198)، ولِهَذا حرَصَ ماير على مَبدَأ المُسَاءَلَة التي" تَكْمِنُ فِيْ ذَلِكَ الاِخْتِلاف بينَ مُمَارَسَة السُؤَال وامتِدَادَاتِ السُؤَال الاِحْتِمَالِيّة للأجوبة المتعددة (العوادي، 2019، صفحة 22).

البلاغة مسافة المفاوضة

تُوجَد مَسَافَة ؛مَا بَينَ الاسْئِلَةِ وَفَضَاء الأجْوِبَة، تَعْتَمِدُ على قُرب الأفْكَارِ أو بُعدهَا بَينَ طَرَفِيْ الخِطَاب، فَتَحْصِلُ حِيْنَهَا المُفَاوَضَة، وَبِهَذَا "يَتَجَاوزُ مَاير الإرثَ الكَلاسِيكِي لِيجعَلَ مِنَ العَقْلانِيّة حَرَكَة دَائِمَة لِلسُؤَال /الاستِشكَال وَإِنَّ

الإقرَارَ بِالمُسَـاءَلَةِ كَأَسَـاسٍ يَعْنِيْ الإقرَار وَنِهَائِيّاً بِأَنَّ الاسْـئِلَةَ وَحدَهَا هِيَ الأصـلُ، مِمَّا يَعْنِيْ انفِتَاحَاً متعدداً على الأجْوِبَة " (عادل، 2013، صفحة 105)فعِنْدَمَا نُفَكِّر، فإنَّ تَبَادرنَا الذِهنِي يقوم بتشكيل الأسئِلَة، فالتفكير والتَّسَاؤُل يؤدِّيَان مُهِمَّة واحدة.

مَا يَحدِثُ في العَمليّة الحِجَاجيّة أَنَّه ثَمَّة خِطاب يَحمِلُ أَفْكَارَاً يتم ترجَمتَهَا عبر اسـئلة من لدن المتلقي، " الحجاج تفاوض بين شركاء الحوار أو التواصل عن مسافة (حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، 2014، صفحة 29) غير أنَّ طرح الاسئِلة يترتَّب عليهَا أجوبة والخِطاب الحِجَاجِي كفيل بالإجَابة عَنهَا عبر حُجج شخصيّة أو صـورٍ بلاغيّة وغير ذلك ،وطبيعَة الأسـئلة يُمكن أن يرسـم لنا مسـافة الاختِلاف بين طرفي الخطاب(المتكلِّم والمتلقِّي) أو الإتِّفَاق، فقد لا يُقِرُّ المُتَلَقِّي بجواب ما يُمكن أن يُفصِـح عنه الخِطاب، عِندهَا يَحدِثُ عَدم الإتِّفَاق ويتَّسِع الإختِلاف، وحينهَا تكون مسافة المُـفَاوَضَة بين الطرفين بعيدة، والعَكس صحيح إذا ما شَاطَر المُتَلَقِّي المُخَاطِب جَوابه تَتَعَمَّق نِقَاط الإتِّفَاق ويُقِرُّ المُتَلَقِّي بأجوبة المُخَاطَب .

المبحث الثاني : الخطاب الصريح والضمني في الشعر الإسلامي القُرشي .

تَميَّز العَقلُ البَشَـرِي بِوَلَعِهِ بِالسُـؤَال ،فَالإنسـانَ مِنذُ وِلَادَتِهِ يَعَجُّ بِالسُـؤَال والبحث عن الأشـياء التي تُحيطُه في بناء مسيرتِهِ بَحْثَاً عن الإجَابَة مُنشَغِلَاً ذهنه بالمرور من المجهول إلى المَعلوم عِبرَ نَافِذَة المَعْرِفَة والسَّعِي إلَى الحَقَائِق.

ويكون المُتَلَقِّي فِيْ هذه الحال طرفا مُحوريا فِيْ العَمَلِيّة الحِجَاجِيّة ؛" لأنه لا يقرأ الأجْوِبَة فِيْ خطابٍ مَا إلَّا ويطرح اسْئِلَة يستنتجهَا ضِمْنِيّاً من الأجْوِبَة المُقدمة فِيْ النَّص مُسْتَعِيْنَاً بالمَعطَيَات التي يُقَدِّمُها المَقَام (صولة، 2007، صفحة 39) .

وهذا يبيّن أن المجال المفضـل للحجاج هو البَلَاغَة .حددّها ماير تحديدا "وظيفيّا باعتبارها مفاوضـة بين الأشـخاص حَوْلَ مسـألة أو مشـكل ،تلعب فِيْه المُسَـاءَلَة المُتَّصِـلَةِ بِبَنِيّةِ الأَقْوَالِ دَوْرَاً تَحْلِيلِيّاً دَاخِل الحِجَاج، حَيثُ تَبْرِزُ أَهْدَافَه وَغَايَاتِهِ الإقْنَاعِيّة (عشير، 2006، صفحة 203) هَذِهِ المُـفَاوَضَة قد يتمحور فِيْها اِتِفَاق أو اِخْتِلاف أو تَقَارُب أو تَبَاعُد أو غَيْرَ ذَلِكَ من المواقف المُتَشَابِهَة أو المُختَلِفة.

لَحْظَة الجَوَاب في الخِطَاب الشِّعْرِي

يَضَعُ مُنْتِجُ الخِطَابِ أَجْوِبَةً إبْدَاعِيّةً مُعْنِيّةً لِمَشَاكِلِ الخِلَافِ مَعَ الآخر، وَتَسْتَوجِبُ الاقْتِدَاءَ بِمَرْجِعيّةٍ مُعَيَّنَةٍ تُشِـيْرُ إِلَى ايدْيُوْلُوْجيّةٍ مَا، يَنْتَمِي إِلَيْهَا مُنْتِجُ الخِطَاب الشِّـعْرِي وَقَدْ يَحْمِلُ فِكْرَةً سَـاخِرَةً، أَو أسـلُوْبَاً مُفَارِقَاً أَو انْتِقَادِيَّاً مُبَاشِرَاً أَوْ غَيْرَ مُباشِرٍ، وَقَد يَتَضَمَّنُ الخِطَابُ أَجْوِبَةً مُتَبَايْنَةً أَوْ مُتَعَارِضَـةً على وِفْقِ أَدِلَّتِهَا وَحُجَجِهَا المُبَاشِرَةِ وَغيْرِ المُبَاشِـرَةِ، غَيْرَ أَنَّ هَذَا الجَوَابَ هُوَ بِمَثَابَةِ خِطَابٍ مُتَمَاسِـكٍ وَمُؤَثِّرٍ، بِوَصْـفِهِ مُناظَرَةً أَو جِدَالاً حِوَارِيّاً حَقِيْقِيّاً أَو افْتِرَاضِيّاً، لِاسْتِمَالةِ المُتَلَقِّي وإقْنَاعِهِ بِصِحَّةِ الجَوَابِ، الذِي يُقَدِّمُهُ المُتَكَلِّمُ أَو مُحَاوَلَةِ تَغْيِيْرِ قَنَاعَةٍ مُسْبَقَةٍ نَحْوَ تَصَوّرٍ مُغَايِرٍ.

وَمِنَ المُمْكِنِ أَنْ يَحْمِلَ الخِطَابُ الشِّـعْرِيُ جَوَابَاً ايدْيُوْلُوْجيّاً وَاحِدَاً، يَكُوْن مُصَـرَّحَاً بِهِ أَوْ ضِـمْنِيّاً، وَهَذَا الجَوَابُ يُحَدِّدُ فِكْرَةَ مُنْتِجِ الخِطَابِ المَرْكَزِيّةِ أَو المُهَيْمِنَةِ، وَقَدْ يُعَارِضُـهُ المُتَلَقِّي بِأَسْـئِلَةٍ تَكْشِـفُ أَجْوِبَةً مُتَعَارِضَـةً أَوْ مُتَنَاقِضَةً أَوْ مُتَحَاوِرَةً.

وَلَحْظَةُ الجَوَابِ مُنْدَمِجَةٌ فِي الشَّـــكْلِ وَتُحَدِّدُ نَبْرَتَهُ الايديُولُوجِيَّةِ ،وَتَحْمِلُ طَابِعَاً فِكْرِيّاً مُحَدِّداً، تَعْكِسُ وِجْهَةَ نَظَرٍ قَدْ تَكُون مُتَبَايْنَةً أَوْ مُتَّفِقَةً مَعَ المُتَلَقِّي، وَتَبَعَاً لِفِكْرِهِ وَمَوَاقِفِهِ، فَالجَوَابُ يَحْمِلُ كَيْنُوْنَةً خَاصَّـةً بِهِ نَابِعَةً مِن صَمِيْمِ وَذَاتِ المُنْتِجِ لِلخِطَابِ، وَتَتَضَمَّنُ لَحْظَةُ الجَوَابِ أَنْوَاعَاً مُتَعَدِّدة تَبَعَاً لِلْخِطَابِ مِثْلَ الجَوَابِ الصَّرِيحِ وَالجَوَابِ الضِّمْنِي وَالجَوَابِ الإِنْتِقَادِي والجَوَابِ السَّاخِرِ والجَوَابِ المُبَاشرِ وَغَيرَ المُبَاشِر. وَنَلْحَظُ فِي الشِّعرِ الإِسْلَامِي القُرَشِي أَنْمَاطَاً مِن الجَوَاب تَتَنَوَّعُ تَبَعَاً لِمُنْتِجِ الخِطَاب.

يَقُولَ أبو الطُّفيل: (البسيط)

لاَ دَرَّ دَرُّ اللَيَالِي كَيفَ تُضحِكُنَا مِنْهَا خُطُوبٌ أعَاجِيبٌ وَتُبْكِينَا

وَمِثْلُ مَا تُحْدِثُ الأيَامُ مِنْ غِيَرٍ يَا ابْنَ الزُّبير عَنِ الدُّنْيَا تُسَلِّينَا

كُنا نَجِيءُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَيُقْبِسنَا عِلْماً وَيُكْسِبُنَا أجْراً وَيهْدِينَا

وَلاَ يَزَالُ عُبَيْدُ اللهِ مُتْرَعَةً جِفَانُهُ مُطْعِماً ضَيْفاً وَمِسْكِينَا

فَالبِرُّ وَالدِّينُ وَالدُّنْيَا بِدَارِهِمَا نَنَالُ مِنْهَا الَّذِي نَبْغِي إذَا شِينَا (الاصبهاني ، 1994، صفحة (15/ 152))

حَرَصَ الشَّاعِرَ فِي خِطَابِهِ هَذَا عَلَى الإِجَابَةِ عن أَسْئِلَة مُضْمَرَةٍ تَتَعَلَّقُ فِي مَوْقِفَيْنِ : أَحَدُهُمَا حَوْلَ قَنَاعَتِهِ بِعَبْدُ الله بن الزُّبير وَمَدَى شَرْعِيَّةِ بِالحُكْمِ، والآخر: بمَوْقِفُ الشَّاعِرِ مِن النَّبِيّ وَأَهَلَ بَيْتِهِ(صلى الله عليه واله)، وَتَحْمِلُ وِجْهَةُ النَّظَرِ الجَوَابِيّةِ فِكْرَةً مَرْكَزِيّةً لِتَصْوِيْرِ الوَاقِعِ الإِجْتِمَاعِي والسِّيَاسِي مِنْ حَوْلِهِ، حَتَّى صَارَ هَذَا الجَوَابُ أيْقُوْنَةً خَاصَّةً أَوْ ثِيْمَةً مُمَيَّزَةً حَدَّدَت هُوِيّةَ المُتَكَلِّمِ ،وَمِن ثَمَّ يُمْكِنُ رَصْدِهَا وَتَشْرِيْحِهَا أَوْ تَفْكِيْكِهَا ،تَتَمَحْوَرُ الأَسْئِلَةُ عَن سَبَبِ جَفَائِهِ لِعبدِ الله بن الزُّبير ، وَرُكُوْنِهِ لِبَنِي هَاشِم، وَلَاسِيَّمَا(ابنُ عَبَّاس وإِخْوَتِهِ)، وَلِهَذَا يُصَرِّحُ بِخِطَابِهِ(كُنا نَجِيءُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَيُقْبِسنَا عِلْماً وَيُكْسِبُنَا أجْراً وَيهْدِينَا) وَهُوَ جَوَابٌ واضِحٌ وَصَرِيحٌ، فاقتِبَاسِهِ الْعَلَّمَ وَكَسْبِ الأجْرِ والهِدَايَةِ هي مُسوغات يَضَعُهَا الشَّاعِرُ أَمَامَ مَن يُوَاجِهُوْنَهُ بِأَسْئِلَة تَتَمَحْوَرُ عَن مَيْلِهِ لبني هاشم ،فَيَعْمَلُ مُقَارَنَةً بَينَ الطَّرَفَيْنِ فِي المَقْطَعِ الآتِي: (البسيط)

إنَّ النَّبِيَ هُوَ النُّورُ الَّذِي كُشِفَتْ بِهِ عِمَايَاتُ بَاقِينَا وَمَاضِينَا

وَرَهْطُهُ عِصْمَةٌ فِي دِينِنَا وَلَهُمْ فَضْلٌ عَلَيْنَا وَحَقٌّ واجِبٌ فِينَا

وَلَسْتَ فَاعْلَمْهُ أَوْلَى مِنْهُمُ رَحِماً يَا ابْنَ الزُّبير وَلاَ أَوْلَى بِهِ دِينَا

فَفِيمَ تَمْنَعَهم عَنَّا وَتَمْنَعُنَا مِنْهُمْ وَتُؤْذِيهِمُ فِينَا وَتُؤْذِينَا

لَنْ يُؤْتِيَ اللهُ مَنْ أخْزَى بِبُغْضِهِم فِي الدّينِ عِزاً وَلاَ فِي الأَرْضِ تَمكِينَا (الاصبهاني ، 1994، صفحة (15/ 152)) .

فَجَوَابهُ ايديُولُوجِي يَهْدِفُ إِلَى تَغْيِيْرِ نَظْرَةِ المُتَلَقِّي وَإِقْنَاعِهِ بِهَذَا الانتماء، عِبْرَ الإِشَـــارَةِ وَالعَوْدَةِ إِلَى الأَصْـــلِ النبي(صلى الله عليه واله)بِوَصْفِهِ نُوْرَاً، فالتَّشبيه الذِي اسْتَعْمَلَهُ الشَّاعِرُ يَجْعَلُ من المُتلقي مُسْتَفْهِمَاً عَن سَبَبِ اخْتِيَارِ النُّوْرِ دُوْنَ غَيْرِهِ مِن التَّوْصِيْفَاتِ، وَلَاسِيَّمَا إِذَا مَا كَانَ الشَّاعِرُ قَد وَضَّحَ بَيَانَ هَذَا النُّورِ الذي كُشِفَتْ به كُل الظُّلُمَاتِ قديماً وحَديثَاً، وَمَن يَنْتَمي إلى النُّور جَديْرٌ بترك مَا سِوَاه، والإِنْتِمَاءِ لَهَ وَجَعْلِ الارْتِبَاطِ بِرَهْطِ النَّبِي(صلى الله عليه

واله)، فَضْلٌ وَوَاجِبٌ وَمِن ثَمَّ قَامَ الشَّاعِرُ بِكَشْفِ دَلَالَاتٍ جَدِيْدَةٍ عِبرَ المُقَارَنَةِ بَينَ سُلُوْكَيْنِ، فَقِيَامُ ابن الزُّبير بِعَمَلِيَّةِ مَنْعِ النَّاسِ مِن اللِّجُوء إلى أهل البَيتِ(عليهم السلام)، بل وَصُـدُوْرِ الأَذىٰ مِنْهُ بِإتجاههِمْ وَأذَيَّةِ كُلُّ مَنْ يَقْتَرِبُ مِنْهُم، وُصُـوْلاً إِلَى أَمْرٍ يُوْرِدُهُ الشَّاعِرُ هُوَ أَنَّ الخِزْيَ مَصِيْرُ كُلُّ مَنْ يُبْغِضَهُم وَلَنْ يَكُوْنَ لَهُ تَمْكِيْنَاً فِي الأَرْضِ .

اسْتَعَانَ الشَّاعِرُ بِاسْتِدْعَائِهِ شَخْصِيَّةِ رَسُوْلِ الله(صلى الله عليه واله)بِوَصْفِهَا حُجَّةً على صِحَّةِ الادعاء ؛لأجل التَّأْثِيْرِ عَلَى المُتَلَقِّي، فَالانْتِمَاءُ لِهَكَذَا عُنْوَان يَمْنَحُ الخِطَابَ قُوَّةً حِجَاجِيَّةً فَهَذَا الإنْتِمَاء شَـرَفٌ مَا فَوْقَهُ شَـرَفٌ، وَهِي حُجَّةٌ تَسْـعَى إِلَى تَحْرِيْكِ العَوَاطِفِ وَمُخَاطَبَةِ أَحَاسِـيسِ الجَمَاهِيْر، مُتَوَخِيَاً التَّأْثِيْرِ المُبَاشِـر وَالفَاعِلِ فِي الدَّفْعِ إِلَى قُبُوْلِ وَتَبَنِّي المَوْقِفِ الذِي يُؤْمِنُ بِهِ الشَّـاعِرُ، وَهذَا مَا يُعَزِّزُ البُعْدَ الحِجَاجِي لِلْخِطَابِ ،وَيُقَلِّل مِن مَسَـافَةَ المُفَاوَضَـةِ بَيْنَ أَطْرَافِ الخِطَابِ التِي قَدْ تَكُونُ مُتَبَايَنَةً بَيْنَ المُتَلَقِّي المُحَايْدِ وَالشَّـاعِرِ مِنْ جِهَةٍ وَبَيْنَ الشَّـاعِرِ وَخُصُـوْمَهُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، وَهَذَا يَعْتَمِدُ عَلَى مَدَى تَقَبُّلَ المُتَلَقِّي مِنْ حُجَجٍ .

وَلَيْسَ مِنَ الضَّرُوْرَةِ بِمَكَانٍ أَنْ يَتَأَثَّرَ المُتَلَقِّي، سَوَاءً أَكَانَ مُتَلَقِّيَاً حَاضِرَاً فِي زَمَنِ الخِطَابِ أَوْ كَوْنِيَّاً؛ لِحُجَجِ الآخر، ذَلِكَ أَنَّ المُتَلَقِّي كَيْ يَكُوْنَ مُتَأَثِّرَاً بِهَذِهِ الحُجَجِ أَوْ الإدِّعَاءاتِ ،أَنْ تَكُوْنَ بَينَ أَطْرَافِ الخِطَابِ مُشْـتَرَكَاتُ فِي هَذِهِ الحُجَجِ، فَقَدْ يَحْتَجُّ أَحَدهُم بِشَخصيَّةٍ مَا، أَوْ بِنَسَبٍ مُعَيَّنٍ، فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ نَجِدُ أَنَّ هَذِهِ الحُجَّةَ لا تُشَكِّلُ شَيْئَاً لَدَىٰ الطَّرَفِ الآخر.

وَطَبِيْعَةُ الحِجَاجِ تفرِضُ عَلَى المُتَلَقِّي نَمَطَاً مُعَيَّنَاً مِنَ النَّتَائِجِ تَبَعَاً لِلْطَرِيقَةِ التِي يَتَعَطَّى فِهَا مُنْتِجُ الخِطَابِ وَتَنَامِي الفِعْلِ الحِجَاجِي وَاسْـتِمْرَارِهِ. "إنّ تَلَقِّي الخِطَابِ الحِجَاجِي يُحِيْلُ على نَوْعَيْنِ مِنَ المُتلقِّيْنَ، المُتَلَقِّي الخَاصُ المُسْـتَهْدَفُ بِمَضْـمُوْنِ الخِطَابِ ،وَالمُتَلَقِّي الكَوْنِي الذِي يَتَلَقَّى الخِطَابَ دُوْنَ أَنْ يَكونَ مُنْدَرِجَاً فِي سِـيَاقَاتِهِ أَو أَنْ يَكونَ لَدَيْهِ مَوَاقِفَ خَاصَّةٍ .وَإِذَا كَانَ المُتَلَقِّي الخَاصُ يَتَلَقَّى خِطَابَ الحِجَاجِ عَلَى نَحْوٍ إقنَاعِيٍّ فإنّ المُخاطبَ المُتَلَقِّي الكَوْنِي يَتَلَقَّى الخِطَابَ مِنْ خِلَالِ الإقْنَاعِ الفِكْرِيّ دُوْنَ إِذْعَانٍ أَوْ إِكْرَاهَات(سرحان، 2013، صفحة 82) .

فَالمُتَلَقِّي في نَظَرِيَّةِ المُسَـاءَلَةِ يَكوْنُ مُبْدِعَاً، وَيَتَّضِـحُ هَذَا الإبداع فِي مَزْجِهِ بَينَ الحُجَجِ التِي يَتَلَقَّاهَا مِن طَرَفَي الخِطَابِ وَبَينَ الحُجَجِ المَخْزُوْنَةِ فِي ذَاكِرَتِهِ التِي تَنْهَالُ فِيوَعْيِهِ بِتَدَاعٍ يُحَفِّزُهُ المَزْجُ المنظّم بَينَ هَذِهِ الحُجَجِ، وَالتِي تَخْلِقُ انْفِعَالَاتٍ وَادْرَاكَاتٍ حِسِّـيةٍ وَحَدَسِـيّةٍ جَمِيْعُهَا يُنْشِـئُ تَصَـوُّرَاً جَدِيْدَاً لِلْنَتَاجِ الإبداعي، حَيْثُ يَتَمَكَّنُ المُتَلَقِّي مِن ادْرَاكِهِ وَتَذَوّقِهِ بِشَكْلٍ خَاصٍ وَمُتَمَيِّزٍ وُصُوْلاً إِلَى الإقْنَاعِ . يَقُول عَبْدُ اللهِ بن عُمَر بن عَمْرُو: (الوافر)

أَضَاعُوْنِي وَأَيُّ فَتَىً أَضَاعُوْا لِيَـومِ كَرِيْهَـةٍ وَسِدَادِ ثَـغْرِ

وَخَـلُّوْنِي وَمُعْـتَرَكِ المَنَايَـا وَقَـد شَرَعُوْا أسنتَهُمْ لِـنَحْرِي

كَـأَنِّي لَمْ أَكُنْ فِيهِمْ وَسِيْـطَاً وَلَـم تَكُ نِسْبَتِي فِي آلِ عَمْرِو(الشافعي ، 1996، صفحة (31/ 224))

يَبْدُو أَنَّ الشَّـاعِرَ يُشِـيْرُ إِلَى أَزْمَةٍ قد تَعَرَّضَ لَهَا، شَـغَلَتْ مَسَـاحَةً مُهِمَّةً مِن تَفْكِيْرِه، وَهِيَ عَدَمُ الاكْتِرَاثِ بِهِ مِنْ قِبَلِ قَوْمِهِ، فَدلالات الأفْعَال(أضاعوني، أضاعوا، خَلُّوني، شرعوا)، وَهُوَ خِطَابٌ جَوَابِي لِذَاتِهِ ،يُفْرِغُ إِجَابَةٌ عَن تَسَاؤُلَاتٍ يَبْحَثُ فِيْهَا عَنْ تسويغٍ لِسلُوْكِ قَوْمُهُ مَعَه، فَهُوَ يَتَمَتَّعُ بالشَّجَاعَةِ وَمَوَاقِفُهُ مَعْرُوْفَةٌ، فَضْلَاً عَنْ ذَلِكَ أَنَّهُم شَرعُوا بِقَتْلِهِ ، وَلِهَذَا هو يُعْلِن عَن اسْتغرابِهِ عبر أَدَاةِ الجَزْمِ عَلَى الفَعْلِ المُضَارِعِ لمَرَّتَيْنِ:(لَمْ أَكُنْ فِيهِمْ وَسِيْـطَاً، وَلَـم تَكُ نِسْبَـتِي فِي آلِ عَمْـــرِو)وَكَأَنَّه رَدَّةُ فِعْلٍ؛ لإثْبَاتِ أَمْرٍ قد تَحَقَّقَ مِن قِبَلِ الآخرين ،وَهَذَا مَا أَكَّدَهُ الشَّاعِرُ في خِطَابِهِ، بَيْدَ أَنَّ

لَحْظَةَ الجَوَابِ كَانَت تَتَمَتَّعُ بِحُجَجٍ عَاطِفِيّةٍ وَمُؤَثِّرَةٍ ؛لأَنَّ الشَّاعِرَ أَشْرَكَ المُتَلَقِّي كَحَكَمٍ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ ،وَلَا يَخْتَلِفُ اثْنَان عَلَى أَنَّ مَن يَتَمَتَّعُ بالفُرُوْسِـيّةِ (يوم الكريهة، وسِـدَادِ الثَّغْرِ) يَكُونُ مَحَطَّ فَخْرٍ وَعِنَايةٍ، لا أنْ يُجَافَى وَيُحَارَب، وَهَذَا مَا يُوَضِّحُ أَنَّ مَسَافَةَ المُفَاوَضَةِ بَينَ الشَّاعِرِ وَقَوْمِهِ وَصَلَتْ إِلَى التَّنَافُرِ والقَطِيْعَةِ . يقول عبد الله بن عمر المعروف العبلي: (المتقارب)

تَـقُـوْلُ أُمَـامَـة لَـمَّـا رَأَتْ نُشُوْزِي عَنِ المَنْزِلِ المُنْفِسِ
وَقِلَّةُ نَوْمِيْ عَـلَى مَضْجَـعِـي لَـدَى هَجْعَةِ الأَعْيُنِ النُّعَّـسِ
أبي، ما عراك؟ فقلت الهموم عـرون أَبَـاك، فَـلا تُبـلسي
عـرون أَبَـاك فحبّسنه من الـذُّلِ فـي شِرّ مَا مَحْبسِ
لِفَقدِ الأحِبَّةِ إذْ نَـالَـهَـا سِـهَـامٌ مِنَ الحَدَثِ المُبـئِسِ
رَمَـتْـهَـا المَـنُـوْنُ بِـلَا نَكَّـلٍ وَلَا طَـائِـشَـاتٍ، وَلَا نُـكَّـسِ
بَـأَسْهُمِـهَا المُـتْلِفَاتِ النُّفُوْسِ مَتى مَا تَـصب مُهْجةً تُخْـلِسِ
فَـصَـرَّعْـنُهم فِي نَـواحِي البِـلَادِ مُلَقًّى بَـأَرْضٍ وَلَـم يُـرْسَسِ
تَـقِـيٌّ أُصِـيْـبَ وَأَثْوَابَـه مِـن الـعَـارِ وَالعَـيْبِ لَـمْ تَـدْنَس
وَآخَرَ قَـد دُسّ فِـي حُـفـرةٍ وَآخَـر طَـارَ لَـم يُحْـسس
إِذَا عَـنّ ذِكْـرَهُـمْ لَـم يَـنَـم أَبُـوْكِ وَأَوْحَـشَ فِـي المَجْلِـسِ
فَـذَاكَ الذِي غَـالَنِي فَاعْـلَمِـي وَلَا تَسْـأَلِـي بِامـرئ مُتَـعَـسِ
أَذَلُّـوا قَنَـاتِـي لِمَن رَامَهَا وَقَد أَلْصَـقُـوا الرَّغْم بِالمِـعْطسِ (الاصبهاني ، 1994، صفحة (34/ 340))

تُؤَجِّج النوائب في حياة الشعراء قدرة مُفعمة من الألم، وهذا ما نلمسه عندما يقوم الشاعر بتصوير معاناته في نتاجه الإبداعي، وشـاعرنا يسـتلهم في خطابه الصـريح هذه الحِكاية من الوجع في حوار لَعَلَّه افتراضـي مع شـخصـية (أُمامة) وهي تأخذ دورَ ابنته في الخطاب الحواري الذي يُصور فيه الشاعر بصورة مشهدية ،وكأنَّه طقس جنائزي ما مرَّ على قومه من قتل وتشـريد على أيدي العباسـيين في بداية حكمهم، ويحمل هذا الخطاب الصـريح مقدار الحسـرة والهوان الذي عاناهما فصـاغ جوابه على افتراض اسـئلة كانت تُلاحِق الشـاعر ليُكوِّن منها لحظة جوابية حملت ما حملت من محنٍ وأهاتٍ شَـكَّلَت نسـيجاً من الإجابات التي شَـحنها الشـاعر بحجج عاطفية ولاسـيما عند ذكره تفاصيل نفسية كالإحساس بالذل؛ لفقدناه الاحبة الذين تفنن الخصم بإبادتهم والتنكيل بهم، ومعلوم ان العاطفة تحمل في صورها طاقة حجاجية تمكن الشاعر من توصيل فكرته إلى المتلقي وتؤمِّن السبيل للتعاطف معه وحمله على الاقتناع بمظلوميته وإدانة مُسـبب هذه الأحداث والدعوة الى حمل المتلقي إلى المسـاهمة في رفع المظلومية، ولاسـيما أن من قتل على وصـف الشـاعر من كان تقيا فهذا يعني انتهاك صـارخ للأولياء الذين ينبغي ان يكونوا محط عناية وتبجيل وليس القتل والتشريد.

وتبدو مسافة المفاوضة بين الشاعر وخصمه في تنافر وتباعد، وعدم انسجام في الوقت الذي كبرت به مسافة التعاطف من عند المتلقي الذي يمكنه هذا الخطاب الجوابي ان يُعيد قراءة الاحداث قراءة متأنية لا تخلو من التروي والتبصُّر.

لَحْظَةُ السُّؤَال :

تَتَمَثَّلُ بِدَايَاتُ السُّؤَالِ فِي حِكَايَتِهِ الأُوْلَى مِنْ حَاضِنَةِ الإِنْسَانِ، تِلْكَ الحَاضِنَةُ التِي شَكَّلَتْ وجُوْدَهُ وَنَشْأتَهُ وَمَصِيْرَهُ ،فَالإِنْسَانُ قَدْ يَسْتَمِدُّ استِقْرَارَهُ وَسَكِيْنَتَهُ عِبْرَ نَافِذَةِ حَيَاتِهِ الأُوْلَى المُمتَدَّةِ مِن عَالمِ الغَيْبِ وَالمُكَوِّنِ لِقَنَاعَاتِ الوجُودِ ،ذَلِكَ الوَجُودُ الذِي بدأ فِي دَهْشَةِ الكَوْنِ بِصَرْخَةٍ حَمَلَتْ وِلَادَةَ السُّؤَالِ فَكَانَت الإِجَابَةُ الأُولَى اسْتِسْلَامَاً بِقَنَاعَةِ المَصِيْرِ وَاعْبَاءِ القَادِمِ، الذِي يَحْمِلُ مُسْتَقْبِلُوْهُ التَّنْشِئَةَ الأُوْلَى، فَيَتَلَقَّى أَوَّلَ عَطَايَا الوجُودِ، وَهِي اللُّغَةُ، وَالتِي مِن خِلَالِهَا يَفْهَمُ مَا يُمْكِنُ فَهْمُهُ مِن هَذَا الوجُودِ، فَتَفْتَحُ لَهُ نَافِذَةَ القُدْرَةِ على تَأْوِيْلِهِ بِمَا يثبُت من إِشَارَاتٍ، وَتستمِرُّ الحِكَايَةُ فِي فُصُوْلِهَا المُتَعَدِّدَةِ من مَكَانٍ وَزمَانٍ وانتِمَاء.

وَتَبْقَى لِلْشِعْرِ حِكَايَتُهُ التِي لَا تَهْدَأُ نَبضَاً وَلَحْنَاً ،وَيَسْتَقِي الشَّاعِرُ مِن عَلَامَاتِ وجُودِهِ دَرْوَسَاً وَيَبُثُّهَا فِي خِطَابِهِ الشِّعْرِي؛ ذَلِكَ لأَنَّهَا أكثرُ حَقْلٍ انْسَانِي اسْتِثْمَارَاً لِلحِكَايَاتِ، وَلِلُّغَةِ إِشَارَاتٍ تَحْمِلُهَا إِلَى مَدْلُوْلٍ عِبْرَ حَدَثٍ ،فَيَتَشَكَّلُ المَدْلُولُ سُؤَالَاً أَو إِجَابةً فِي حَرَكَةِ العَلَّاقَةِ الأَبَدِيّةِ، ثُمَّ يَتَنَامَى إِلَى تَأوِيلٍ، وَتَفْكِيْكٍ وصُوْلَاً إِلَى الفِعْلِ الحِجَاجِي الذِي يَتْرُكُ أَثَرَاً فِي المُتَلَقِّي. تقول السيدة زينب بنت عقيل بن أبي طالب تبكي قتلاها في الطف: (البسيط)

مَاذَا تَقُولُونَ إِذَا قَالَ النَّبِيُ لَكُم مَاذَا فَعَلْتُم وَأَنْتُم آخِرَ الأُمَمِ

بِعِتْرَتِي وَبِأَهلِي بَعدَ مُفْتَقَدِي مِنْهُم أُسَارَى وَقَتْلَى ضُرِّجُوْا بِدَمِ

مَا كَانَ هَذَا جَزَائِي إِذْ نَصَحْتُ لَكُم أَنْ تُخْلِفُونِي بِسُوْءٍ فِي ذَوِي رَحِمِي (المصعب بن الزبير بن العوام و بروفينسال، 1953، صفحة (1/ 84))

يَحْمِلُ الخِطَابُ سُؤَالَاً إِنْكَارِيَّاً ذُو قِيْمَةٍ خِطَابِيّةٍ مُهِمَّةٍ ،وَكَانَ رَدَّةُ فِعْلٍ عَلَى حَدَثٍ مُرَوِّعٍ يَتَعَلَّقُ بِحَادِثَةِ كَرْبَلَاء وَمَا جَرَى بِهَا مِن استِهْدَافٍ مُبَاشِرٍ لِرَسُول الله(صلى الله عليه واله)بعد تَصْفِيَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ (صلوات الله عليهم اجمعين)فَيَبدَأُ المَقْطَعُ الشِّعْرِي باسْتِفْهَامٍ يُوَبِّخُ وَيُدِيْنُ هَذِهِ الجَرِيْمَةَ واللجوء إلى السؤال قد يُشير أحياناً إلى حَمْلِ مَنْ وُجِّهَ إِلَيهِ السُّؤَالُ عَلَى اِعْلَانِ مَوْقِفِهِ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ السُّؤَالُ فَالمُوَجِّهُ الاسْتِفْهَامِي" شُحْنَتُهُ الحِجَاجِيّةِ فِيهِ تَنْبَعُ مِن مَدَى عُمقِ السُّؤَالِ المَطْرُوحِ مِن جِهَةٍ، وَالجَوَابِ المُنْتَظَرِ مِن جِهَةٍ أُخرى" (سالم، 2008م، صفحة 116)، فَالسُّؤَالُ يُثِيرُ إِشْكَالَاً يَتَوَخَى أَنَّ ثَمَّةَ اتِّفَاقَاً في وُجودِ هَذَا المَوْضُوع، وأَهَمِّيَّتِهِ ،فَضْلَاً عَن ذَلِكَ قَد تَكُونَ الإِجَابَةُ عَلَيْهِ وَلَو ضِمْنِيّاً تَقَعُ فِي مُعْطَيَاتٍ اسْهَمَ الوَاقِعُ فِي إِيْجَادِهَا وَالاِعْتِرَافِ بِهَا "إِنَّ أَيَّ تَفْسِيرٍ يَلْجَأُ إِلَيْهِ القَارِئُ يَفْتَرِضُ أَنَّهُ يُعَبِّرُ عَن رُؤيَةٍ مَا فِي نِطَاقِ فِكْرَةٍ تَتَّفِقُ مَعَ مَا يُمكِنُ لِلنَصِّ الأَدَبِي أَنْ يُرَوِّجَهُ بِنَاء عَلَى طَرْحِ المُؤَلِّفِ أَو فِي نِطَاقِ النَّسِيْجِ النَّصِّي نفسه فَكُلّ الاِحْتِمَالَاتِ وَارِدَةٍ، وَإِنْ كُنَّا نَتَعَامَلُ مَعَ الخِطَابِ الأَدَبِي بِدَافِعِ البَحْثِ عَن فِكْرَةٍ مُعَيَّنَةٍ فَنَحْنُ بِصَدَدِ الكَشْفِ عَن الأَثَرِ الايديُولُوجِي المُتَضَمِّنِ فِي النَّص ،وَعَلَيْهِ فَنَحْنُ مُرْغَمِيْنَ عَلَى الرَّبْطِ بَينَ النَّص وَالوَاقِعِ وَقَضَايَا المُجْتَمَعِ كَكُل، بِمِنْظَارِ أَنَّ هَذَا النَّصَ الأَدَبِي يَشْتَغِلُ فِي قَيْدِ الاِسْتِجَابَةِ وَمِنْهُ الإِجَابَةِ اِزَاءِ مَا يُحِيْطُ بِهِ " (ملواني،

2018، صـــفحة 246) وَهُنَا يَتَحَقَّقُ مَنْطِقُ الأَشْـــكَلَةِ الذِي بِدَوْرِهِ يَكُونُ فَاعِلاً حَيَوِيّاً فِي مَدِّ عُمرِ القِرَاءَةِ وَتَفْعِيْلِ عُنْصرِ التَّوَاصُلِ بَينَ النِّتَاجِ وَقَارِئِهِ بِحَيْث يَسْتَطِيعُ المُتَلَقِّي قِرَاءَةِ مَسَارِ الأَحْدَاثِ بِتَوَافِقٍ مَعَ المَسَارِ الإِجْتِمَاعِي أَو السِّيَاسِي أَو الشِّعْرِي .

وتقول هند بنت عتبة: (الرجز)

نَحْنُ جَزَيْنَاكُم بِيـــوم بَدْرِ وَالحَرَبُ يَومُ الحَرْبِ ذَاتُ سَعرِ

مَا كَانَ عَن عُتبةَ لِي مِن صَبْرِ أَبِي وِعمّـي وأَخِي وَصُـهْرِي

شَفَـيْتُ وَحْـشِي غَلِيلَ صَدرِي شَفَـيتُ نَفْسِي وَقَضَيْتُ نُذرِي

فَشُـكرُ وَحشِـي عَلَـيَّ عُمرِي حَتّى تُغِيـبُ أَعْظُمِي فِي قَبرِي

فأجابتها أروى بنت عبد المطلب (الرجز)

يا بِنْتَ رقَّـــاعٍ عَظِيْمَ الكُفْرِ خُزِيْتِ فِي بَدْرٍ وَفِي غَيْرِ بَدْرِ

صَبَّـحَكِ اللهُ قُبَـيلَ الفَجْـرِ بِالهَاشِمِيينَ وَالطَّوَال الزُّهْـرِ

بِكُـلِّ قَطَّـــاعٍ حُسَامٍ يَفْرِي حَـمْزَة لَيْثِي وَعَلِيٌّ صَـقْرِي

إِذَا رَامَ شَبِيب وَأَبُوكِ غَدْرِي اعْطَيْتِ وَحْشِي ضَمِيرِ الصَّدرِ

هَتَكُ وَحْشِيٍّ حِجَابُ السِّترِ مَا لِلْبغَايَا بَعْـدَهَا مِن فَخْـرِ (بن أَبِي طاهر، 1908، صفحة 33)

قد يَعْتَمِدُ مُنْتِجُ الخِطَاب على تَوْجِيهِ المُتَلَقِّي إِلَى خَيَارَاتٍ مُحَدَّدَةٍ مِن دُوْنِ أَنْ يَتْرُكَ خَيَارَاتٍ مُتَنَوِّعَـةٍ أَو مُتَعَدِّدَةٍ لِلإِجَابَةِ؛ وَذَلِكَ لِلسَـيْطَرَةِ عَلَى ذِهْنِ المُتَلَقِّي، وَتَوْجِيهِ سَـيْرِ الخِطَاب بِالوِجْهَةِ التِي يُرِيدُهَا، وَلَعَلَّ الخِطَاب الشِّـعْرِي يَحْمِلُ تَوْجِهَاً أَيديولوجِيّاً، يَعْتَمِدُ التَّنَوِّعَ بِطَرِيقَةِ طَرْحِ الأَسْـئِلَة، شَـرِيْطَة أَنْ يَكون هَذَا التَّنَوِّع مُتَاسِـقَاً وَمُنتَظَمَاً؛ لإِفْحَامِ المُتَلَقِّي والتَّأْثِيْرِ فِيه، وَتَحْرِيكِ مَشَـاعِرِه واسـتِمَالتَهُ، فَعَمَلِيّةُ عَرْضِ الأَسْـئِلَة الصّـرِيحَةِ أو الضّـمنِيّة، يَنْبَغِي أَنَ تَكونَ بِطَرِيقَةٍ مُتَنَاسِقَةٍ مَعَ الغَايةِ الإِقْنَاعِيّةِ .

يَكْشِفُ المَقْطَعُ الشِّعْرِي الأَوَّلُ عَنْ دَوَاعِي قَتْلِ حَمْزَةَ بِنِ عَبْدِ المُطَّلِب (ﷺ) ثَأْراً لِقَتْلِ أَبِيهَا وَعَمّهَا وأَخِيهَا فِي مَعْرَكَةِ بَدْر، وَكَأَنَّ هَذَا الثَّأْرَ هُوَ نَتِيْجَةُ صِرَاعٍ وَنِزَاعٍ قَبَائِلِي، وَصَرَّحَتْ أَنَّهَا قَد تَشَفَّت بِهَذَا القَتْلِ وَأَنَّهَا مَدِيْنَةٌ لِلْقَاتِلِ بِشُكْرٍ لا نَظِيْرَ لَهُ وَهُوَ مُسْـتَمِرٌ طِوَال حَيَاتِهَا ،وَالمَقْطَعُ مليءٌ بالأَسْـئِلَةِ التِي تَعْطِي انْطِبَاعَاً عَن طَبِيْعَةِ هَذِهِ الشَّـخْصِـيّةِ المُتَوَهِجَة بِنَارِ الانْتِقَامِ ،فَالجَزَاء الذِي كَانَت هِند تَنْتَظِرُهُ مُقَابِل مَا جَرَى فِي مَعْرِكَةِ بَدر صَـــارَ هَمَّاً شِـــعْرِيّاً، وَلَعَلَّ المُتَلَقِّي يَسأَلُ هَل مَن قُتُلُوْا فِي هَذِهِ المَعْرَكَةِ هُم شَـخْصِـيَّاتٍ لَهَا مَكَانَةٌ كَبِيْرَةٌ بَينَ النَّاسِ؟ ما الذي تقصده بالتَّشَفِّي؟ وَهَل يَعْكِسُ عقليّةٌ حَضَـارِيّةٌ ؟ وَكَيْفَ تَشَفَّت من حَمزة؟ وَمَا نَوعُ شُكرِهَا لِوَحْشِـي؟. وَغَيْرَهَا مِن الأَسْـئِلَةِ، وَ إِنَّ هِندَاً عَمِدَتْ إِلَى تَسْـجِيْلِ انْفِعَالِيَتِهَا فِي نِتَاجِهَا الشِّـعْرِي عِبرَ نَسَـقٍ مُرَتَّبٍ كَانَ لِلتِكْرَارِ أَثرٌ وَاضِـحٌ (الحَرب، يوم، شَـفيت، وَحشِـي) فَالإِفْصَـاحُ وَالإِعْلَانُ عَلَى أَمْرٍ مَا(التَّشَـفِّي)، وكَأَنَّمَا تُرِيدُ مِن مُتَلَقِّيْهَا مُشَـاطَرَتِهَا فِي هَذَا السَّـخْطِ وَالتَمَرُّدِ ،وَتُحَاوِلُ إِقْنَاعَ أَو اسْـتِمَالَةَ المُتَلَقِّي عِبرَ انْتِقائِها أُسْـلُوْبِ العَاطِفَة الذِي يَكُونُ ذَا تَأْثِيرٍ وَقُدْرَةٍ عَلَى اشْـغَالِ وَشَـحْنِ مُتَلَقِّيْهِ ؛لأَنَّهَا فَقَدَتْ عَنَاصِـرَ مِن أُسْـرَتِهَا لِتُلَامِسَ ذِهْنَ وَقَلْبَ المُتلقِّي مَعَاً . وَيَأْتِي المَقطَعُ الآخر مِن قِبَلِ أروَى لِتَرُدَّ عَلَى هِند.

إنَّ اللَّحْظَةَ الذَّكِيّةَ التِي يَلْتَقِطُهَا المُتَلَقِّي فِي حِجَاجِ بَنِي هَاشِم أَنَّهُم يَعْرِفُوْنَ تَأْرِيخَ خُصُوْمَهُم مَعْرِفَةً عَمِيْقَةً مِنَ المَنْبَعِ إِلَى المَصَبِّ، وَلَا يَكْتَرِثُوْنَ كَثِيْرَاً بِادِّعَاءَاتِهِم، وَأَنَّ مَخْزُوْنَهُم الاسْتِرَاتِيجِي مِن الوَقَائِعِ وَالحَقَائِقِ تُشِيرُ بِمَا لَا يَقْبَلُ الشَّـكِّ أَنَّهُم يَسْتَطِيْعُوْا أَنْ يَكْشِفُوْا زَيْفَهُم. فلغة التلقي الحِجَاجِيّة ليست مُجرَّدَ شاهدٍ على الخِطَاب، وإِنَّمَا كينونة فَعَّالَة ومُتَحَرِّكَة تَكشِـفُ عن ذات المُتَكَلِّم، وَعَبَّرَ الخِطَابُ عَن أَسْـئِلَةٍ تخَيُّلِيّةٍ أو وَاقِعِيَّةٍ وَجَوْهَرِيّةٍ وَعَرَضِـيّةٍ بِطَرِيْقَةٍ تَسْـتَعْمِلُ النَّقْدَ التَّقْوِيضِـي، لأجل فَضـحِ هِند بنت عُتبة التِي تَسْـعَى فِي خِطَابِهَا لِصِـنَاعَةِ تأريخٍ يَعْتَمِدُ التَّضْـلِيْلَ وَالخَدِيْعَةَ.

المجتمع الذي تَعِيْشُـــهُ مُنتِجَةُ الخِطَابِ مُتَكَوِّنٌ مِن رُكَامٍ مِن التَّقَالِيدِ والعَادَاتِ التِي تُعَدُّ مَعِيْنَاً مُهِمَّاً وَرَافِدَاً مِن رَوَافِدُ ثَقَافَتِهِ وَكَلَا النِّتَاجَيْنِ عَكَسَ ثَقَافَة وَمَرْجَعِيَّة كلتا الجِهَتَيْنِ فَلِذَا اعْتَمَدَتْ أَروَى بِنت عَبدُ المُطَّلِب عَلَى إِشْغَال فِكْرِ المُتَلَقِّي وَلَفْتِ انْتِبَاهِهِ وَبحْثِ كَلَام هِند وَتَحْلِيْلِهِ " وَلَا يَتَحَدَّدُ الفَرقُ بَينَ شَـاعِرٍ وَآخَرَ بِشَـكْلِ التَّعْبِيرِ وَحَدَهُ، وَإِنَّمَا يَتَحَدَّدُ كَذَلِكَ ،وَقَبْلَ كُلِّ شَيءٍ، بَالمَوْقِفِ مِن المَعَانِي السَّائِدَةِ وَسِيَاقَاتِهَا" (أدونيس، 2002، صفحة 81).

وَنأتِي نَسْتَشِفُ أَسْئِلَةٍ مُفْتَرَضَة مَعَ كُلِّ مَقْطَعٍ لِمَاذَا نادت هند ب: يا بِنْتَ رقَّـــــــاع عَظِيْمَ الكُفْرِ؟ فَأبو هِندٍ لَم يَكُن كَافِرَاً، بَل عَظِيم الكُفْرِ، مِن أين تَحَقَّقَ أَنَّهُ عَظِيم الكُفْرِ؟ وَلِمَاذَا تَصِـــفُهَا بِالخِزي فِي بَدْرٍ وَفِي غَيْرِ بَدْرٍ؟ ولِمَاذَا تَصِفِ الهَاشِمِيينَ بِالطَّـوَال الزُّهْـــــرِ؟ هل عَمِلَت موازنة بينهم وبين بني أُمَيَّة؟ وَلِمَاذَا وَسَمَت أبَا هِند بالغَدر؟ وَمَا الذي أعطَتَ وَحْشِي حَتَّى وَصَفَت هَذَا العَطَاء بِهَتكُ وَحْشِـيّ حِجَابُ السِّترِ؟ ثُمَّ تَخْتُم بِالنفي (مَا لِلْبغَايَا بَعْـدَهَا مِن فَخْـــرِ)وهو ردٌّ عَلَى إِثْبَاتٍ فِعْلِي أَوْ مُحتَمَلِ حُصُوْلِهِ مِن هِند .

المأمون يمدح الإمام عليًّا (عَلَيْهِ السَّلَام) (الوافر)

وَمِن غَاوٍ يعضُّ عَليَّ غيظاً	إذا أدنيـتُ أولادَ الوَصـي
يُحَاوِلُ أَنَّ نُـورَ اللهِ يُطـفَى	ونـورُ اللهِ فـي حصنٍ أبي
فقلتُ أليسَ قد أوتيتَ علماً	وَبَانَ لَكَ الرشيدُ من الغَوي
وَعَرَفتَ احْتِجَاجِي بِالمَثَانِي	وبالمعقـولِ والأثـرِ القَوي
بـأيـةِ خِـلةٍ وبـأيّ معـنى	تُفضِّلُ ملحدين على عليّ
أعـظـمُ الثَّـقـــلين حـقّـاً	وأفضَـلَهُم سِوى حقّ النَّبي (البيهقي و ابو الفضل إبراهيم، 1991، صفحة (62/1) .)

قَدْ يَشْغِلُ السُّؤَالُ المُضْمَرُ مَسَاحَةَ الإِفْصَاحِ عَنِ الدَّهْشَةِ وَالاِسْتِغْرَابِ عِنْدَ المُتَلَقِّي الذِي يَبْحَثُ عَنِ العَلَّاقَاتِ المُتَوَتِّرَةِ بين مُنتِجُ الخِطَابِ وَبَينَ الآخر، وَمُحَاوَلَة إِفْهَامِهِ، وَيَبْدُو أَنَّ الأَسْـــئِلَةَ أَحَاطَتْ بالمُتَكَلِّم وامْتَدَّت مَعَ مُثيرِهَا، واقْتِرَن الشِّـــعْرَ بِالسُّـــؤَالِ كَأَهَمّ ثِيْمَةٍ مِن ثِيْمَاتِهِ الدِّلَالِيّةِ أَو الفِكْرِيّةِ أَو الفَلْسَـــفِيّةِ ،وصُـــوْلاً إلى إِعْلَانِ مَوقِفٍ إتجاه الإمام علي(عليه السلام).

حَوَّلَ هَذَا الخِطَابُ الشِّعْرِيُ الأَسْئِلَةَ المُفْتَرَضَـةَ التِي تَدُورُ عن شَخصيّةِ الإمام علي(عليه السلام)فَثَمَّةَ غَاوٍ يُحَاوِلُ أَن يَمنعَ مُنتِجَ الخِطَاب مِن الاهْتِمَام بأولادِ الوَصِـي، مَن هَذَا الغاوي؟ وَهُوَ طَرَفٌ مُعَادٍ وَلِمَاذَا هَذَا المَوقِفُ الاعْتِرَاضِـي لأولاد الأوصياء؟ وَمَا دَاعي لتفضيل المُلحِدين على أَمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام)؟ .

فَالسُّؤَالُ وَهُوَ مِن أَهَمّ المَفَاتِيْحِ الاِجْرَائِيّةِ لِفَهْمِ وَاسْتِنْطَاقِ الخِطَابِ الشِّعْرِي وُصُوْلاً إِلَى بِنْيَتِهِ العَمِيْقَةِ وَوِلَادَتِهِ الخَارِجِيّةِ وَالدَّاخِلِيَّةِ، فَالخِطَابُ يُمَثِّلُ شَبَكَةً مِنَ التَّفَاعُلَاتِ المُضْمَرَةِ وَالصَّرِيْحَةِ التِي تَخْتَبِئُ خَلْفَ السُّطُوْرِ، تَتَسَلَّلُ إِلَى ذَاكِرَةِ المُتَلَقِّي اعتِمَادَاً عَلَى المَعْرِفَةِ المُتَرَاكِمَةِ وَالرَّصِيْدِ الذِّهْنِي الوَاعِي؛ لاخْتِزَالِ أَفْكَارِ السَّابِقِينَ وَإِعَادَةِ انْتَاجِهَا عِبْرَ الأَسْئِلَة المُفْتَرَضَةِ؛ لِاكْتِشَافِ رُؤيَةٍ جَدِيْدَةٍ .

في المقطع الشعري سؤالاً تقريريًّا يأتي من عِلم السَّائل بِهِ(أليــسَ قد أوتيتَ عــلماً)، وَحَملِ المُتَلَقِّي عَلَى الإقرارِ بِهِ، فَيَمتَازُ بِبُعدٍ حِجَاجِي؛ لأن الأَســئِلَةَ غَيرَ مَجْهُولةٍ لَدَى المُتَلَقِّي ،وهَذَا الإقرار يَتَطَلَّبُ الِالتِزَام بِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى هَذِهِ الإجَابَةِ ،وَحِينَهَا يَقَعُ المُتَلَقِّي فِي مُحِيْطِ تَبِعَاتِ هَذَا الإقرار ،وَيَتِمُّ انتِزَاعِ الاعْتِرَافِ مِنهُ، مِمَّا يَجْعَلهُ في مَوقِفٍ صَعْبٍ، وَيُوقِعُهُ بالتَّنَاقُضِ. وَوَرَد سُؤَالان (بِـأيــةِ خـلةٍ وبـأيّ معــنى)وَ إثارة هَكَذاَ تساؤُلات تَعْمَلُ عَلَى انتِزَاعِ الإقرار بِالجَوَاب المَطلُوبِ مِن دون استِطَاعة أحد إنكاره، مِمَّا يجعلُ المُتَلَقِّي في زاوية بعيدة عَن مُعارضة السائل.

قد تلعب الأَسْــئِلَة الفرعيّة دَورَاً فَعَّالاً في العمليّة الإقْنَاعيّة، وَتَارة تكون الأَسْــئِلَة غير مُحَايدةٍ ؛لأن الســائل لم يكن خالي الذهنِ مِن الإجَابةِ ، بل يســعَى إِلَى اســتِدرَاجِ الآخر مُحَاوَلَةً مِنهُ للغَلَبَةِ، وإقنَاعِهِ وَهُنَا يَكمِنُ الدَّور الأســاس للسؤال.

يقول عبد الرحمن بن حنبل بن مليك الجُمَحِي: (البسيط)

أبلغ عــليَّاً وَعَــمَّارَ فَــإنَّهُما بِـمَـنْـزِلِ الرُّشْد إنَّ الرُّشْـدَ مُبْتَدَرُ

لا تَــتركا جَـاهِـلَاً حَتَّى تُـوَقِّرَهُ دِيــنُ الإله وَإنْ هَــاجَتْ بِــهِ مررُ

لَمْ يَبْقَ لِي مِنهُ إلَّا السَّيفُ إذْ عَلَقَتْ حِبَـالُ المَـوْتِ فِيْـنَا الصَّـادِقُ البَرَرُ

يَـعْــلَـمُ بِــأَنِّي مَظْــلُـوْمٌ إذَا ذَكَـرَتْ وَسَـطَ النَّـدَى حِجَاج القَـومِ وَالغَـدَرُ (المجلسي، 1983، صفحة (31/ 263))

يتخذُ هذا المقطع الشِّـعْرِي طابعاً تساؤلِيّاً مُضْـمَرَاً لِمُتَلَقٍ ،يَشْـهَدُ مَقْطَعَاً يَعِيْشُ فِيهِ مُنْتِجُ الخِطَابِ تَجْرِبَةً ذَاتِيَةً حَيْث كَانَ مَسْـجُوْنَاً مِن قِبَلِ الخليفة عثمان بن عفان ،وَاسْـتَعَان بالإمام عَلِي(عَلَيْهِ السَّـلَام) وَقَدْ عبَّرَ عَنهَا بِمَرَارَةٍ مَمْزُوْجَةٍ بِفِكْرَةٍ مَبْثُوْثَةٍ فِي أثناء الخِطَابِ يَسْــعَى إِلَى التَّسَــاؤُلِ وَاسْــتِدْعَاءِ لَحْظَةِ السُّــؤَالِ إِلَى أَحْدَاثِ الوَقَائِعِ " لَمَّا كَان الخِطَابُ إِشــارةً إلى السُــؤَالِ أَو اســتِدعاءً لَهُ، لَزَمَ أَنْ يَتَوَلَّدَ عَن ذَلِكَ نِقَاشــاً يُوَلِّدَ بِدَورِهِ حِجَاجَاً" (المودن، 2001، صـفحة 25) غَيرَ أَنَّ السُّـؤَالَ لَيسَ المَقْصُـودَ بِهِ الجُمْلَةِ الِاسْـتِفْهَامِيّةِ بالضَّـرورَةِ، وقد عَرَّفَه (ماير) " أَنَّهُ دَعْوَةٌ إِلَى اِتِخَاذِ القَرَارِ (اسيد، 2010، صفحة (2/ 273)) .

والمَقْطَعُ الشِّعْرِي مِثْلَمَا عَهِدْنَا ذَلِكَ فِي نَظَرِيّةِ المُسَاءَلَةِ يُفتَرَضُ أَنَّهُ جَوابَاً لِسُؤَالٍ مُضْمَرٍ، فَإِنَّ مَا يُمْكِنُ أَن نَفْتَرِضُـهُ مِن أَسْـئِلَةٍ مِنْهَا: لِمَاذَا استعان الشاعر بشخص الإمام علي(عَلَيْهِ السَّـلَام) فضـلاً عن عَمَّار بن ياسِر؟ ولِمَاذَا يُوصِي بالرُشد؟ ومن هُوَ الجَاهِلُ؟ وَكَيْفَ يَكوْنُ دِينُ الإلَهِ تُهَاج بِهِ المُرُرُ وَهِي كِنَايَةٌ عَن السَّفَاهَةِ؟ وَمَنْ هُوَ المُخَاطَبُ بِقَوْلِهِ:(يعلم بأني مظلوم)؟، هَذِهِ الأَسْـئِلَةٌ تجْعَلُ النَّاسَ حِيْنَمَا يتَحَاورُونَ يُثِيْرُونَ تَسَـاؤُلَاتٍ أو اِشْـكَالَاتٍ حِيْنَهَا يتهيأ مَنَاخٌ مُنَاسِبٌ للحِجَاج الذي يعطي فرصة لإيجَاد بدائل للإشكاليات والتَّساؤلات وتتكشف مواقف المُتَلَقِّين إزاء ما يَتِمُّ طَرحَهُ من قناعات متباينة أو متشاكِلَة، فطرح السُّؤَال أو إثارتِهِ يُلازِمُه طرح الرأي الآخر الذي قد يُخالِفه

أو يُعاضِده، فتتَّسِعُ دائرة النِّقَاش وصولاً إلى استِنتاجات وَفَّرتَهَا قنوات الانتِقَال من السُّؤَال إلى الجَوَاب مع مناخٍ من الإفَادَات والآراء التي يوفِّرهَا السِّيَاق .

النتائِج :

1- انطلق ماير من الوسَـائِل الخِطَابية التي أطَّرَهَا أرسـطو، والوسَـائِل التي تُمكن من تحقيق الغرض وبلوغ المَأرب عديدة، منها ما يَأتِي من صـــورة المُتَكَلِّم و منها ما يَأتِي من انفعالات المُســـتمع وعواطفه ، إذ يُخرجونه الخطباء من عن وجهته الفكرية الاِسْتِدْلالية .

2- اللوغوس(Logos) وهو الاغلب ما يَأتِي من اللُغَة ذاتها، أي ما يبنيه الخِطَاب من وجُوْه الاِسْـــتِدْلال المتحقق بالقياس والاستقراء وما يتضمنه من التصديقات، يُقَدِّمُ تصورا وظيفِيًا لهذه العناصر.

3- لحظة الجواب والسـؤال، ولحظة الأخلاق، يعتبر هذا التَّصـور الجديد فِيْ الوَظِيْفَة الحِجَاجِيّة تجاوزا للفهم التقليدي (أرسطو و بيرلمان) الذي ينحصـر فِيْ الوَظِيْفَة التي تدور حول الاستمالة والإقناع تصـوّر يرتكّز عَلَى العلاقة الثُّنَائِيّة (بين المُتَكَلِّم والمستمع) باعتبارها مكونا أساسيا فِيْ العَمَلِيّة الحِجَاجِيّة، فأعطى طرفِي العَمَلِيّة الحِجَاجِيّة الأهميّة التّي غابت عند أرسطو وبيرلمان .

4- إنّ الإنسَـان فِيْ أثناء إقباله عَلَىْ المُشـافهة أو الكتابية فِيْ سياقه اليومي، نراه قد يكون مشـحونَاً بسيل من الاسْئِلَة الذهنيّة التي تعنيه وتُشغل باله فِيْ قضية ما .

5- قيمة السُـؤَال تَكْمِنُ في الإيغَالِ والاسـتِقصَـاء، والنتاج الإبداعي في هذا المسـتوى يُعدُّ نَسِـيجَاً من الشـكِّ والقلق والتَّساؤُل ،وليس عبارة عن قطيعٌ من الكلِمَات السائرة من غير هُدَى .

مصادر البحث :

1) ابتِسام بن خراف. (2010). *الخِطَاب الحِجَاجِي السِّيَاسِي في كتاب الإمَامة والسِّيَاسة "لابن قتيبة"* . الجزائر: جامعة الحاج لخضر باتنة.

2) علي بن الحسين الاصبهاني . (1994). *الاغاني* (المجلد 1). بيروت: دار احياء التراث العربي.

3) هيثم سرحان. (2013). الخطاب الحِجَاجي في شعر بشار بن بُرد مُقاربة في تحوّلات الهويّة الثقافيّة . *جامعة أم القُرى لعلوم اللغات وآدابها* .

4) إبراهيم بن محمد البيهقي، و محمد ابو الفضل إبراهيم. (1991). *المحاسن والمساوئ*. القاهرة: دار المعارف.

5) أبي الفضل احمد . الألفي, أحمد بن أَبِي طاهر. (1908). *كتاب بلاغات النساء*. القاهرة: مطبعة مدرسة والدة عباس الأول.

6) أبي عبد الله المصعب المصعب بن الزبير بن العوام، و ليفي بروفينسال. (1953). *نسب قريش* . القاهرة: دار المعارف.

7) احمد بن سعيد أدونيس. (2002). *موسيقى الحوت الأزرق (الهويّة، الكِتابة، العُنف)* (المجلد 1). بيروت: دار الآداب.

8) الأمين محمد سالم. (2008م). *الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر* (المجلد ط1). بيروت: دار الكتاب الجديد المُتَّحِدَة.

9) جميل حمداوي. (2014). *من الحجاج إلى البلاغة الجديدة* (المجلد 1). المغرب: افريقيا الشرق.

10) جميل حمداوي. (2019). *نحو مقاربة نقدية أدبية جديدة (المُقاربة التساؤليّةِ)0* . (المجلد 1). تطوان ، المغرب: دار الريف للطبع والنشر الالكتروني.

11) حسن المودن. (ديسمبر , 2001). أهم نظريات الحِجَاج في التقاليد الغربية. *علامات، ج42، مجلد 11*.

12) حفيظ ملواني. (نيسان, 2018). *فلسفة المعنى في الخطاب الادبي، إطروحة ميشال ماير أنموذجا*. (حفيظ ملواني، المحرر) تاريخ الاسترداد 2018، من شبكة ضياء : جامعة البليدة

13) عبد السلام عشير. (2006). *عندما نتواصل نُغيّر*. الدار البضاء: افريقيا الشرق.

14) عبد اللطيف عادل. (2013). *بلاغة الإقناع في المُناظرة*. بيروت: منشورات ضفاف.

15) عبد الله صولة. (2007). *الحِجَاج في القُرآن الكريم من خلال خصائصه الأسلوبية* (المجلد 2). بيروت: دار الفارابي.

16) علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي . (1996). *تاريخ مدينة دمشق* . بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

17) محمد اسيد. (2010). *اللغة والمنطق والحِجَاج ، ميشال ماير*. الاردن: عالم الكتب.

18) محمد باقر المجلسي. (1983). *بحار الأنوار* . (المجلد ط2). بيروت: مؤسسة الوفاء.

19) محمد علي القارصي القارصي. (1997م). البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشيل ماير. *أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم*، صفحة 392.

20) منى العوادي. (2019). *الحِجَاج في خطاب الدراسات اللغوية ـ كتاب منطق العرب في علوم اللسان لعبد الرحمن الحاج صالح أنموذجاً ـ* . (رسالة ماجستير ، المحرر) الجزائر: جامعة البويرة.

21) نعمة دهش . (ديسمبر , 2017). الخطاب الحِجَاجي وصلاته الاجتماعية مقاربة سوسيو لسانية. *مجلة الأستاذ*، صفحة 150.

22) نعمة دهش . (نيسان, 2019). نظريّة (المُساءلة والبلاغة) لميشال ماير، مقاربة في :الأصول والأسُس والتَّمَثُلات. *مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والإنسانية/ جامعة بابل، عدد 43*، صفحة 2187.